مجلة تراثية فصلية محكمة

٤

المورد

تصدر عن

دار الشؤون الثقافية العامة

- وزارة الثقافة والاعلام

الجمهورية العراقية

المجلد السابع عشر

العدد الرابع

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

عدد خاص

دراسات قرآنية

تفسير الوسيط بين الوجيز والبسيط لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨ هـ)

المقدّمة وسورة الفاتحة

تحقيق

د . مهدي عبيد جاسم
معهد المعلمين / بغداد

د . نهاد حسوبي صالح
معهد المعلمين / بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على صفوة خلق الله محمدٍ وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

الواحدي واحدٌ من أبرز المفسرين وأبرعهم الذين انفقوا صباهم وأيّام شبابهم في التحصيل واتقان الأصول من الأئمة والسفر في طلب الفوائد والاحسان في البحث والتفسير حتّى أصبح بحقّ استاذ عصره ، وواحد دهره .

وهو كما ذكره الباخرزي وسجع له « مشتغل بما يعنيه ، وإنْ كان استهدافُهُ للمختلفة إليه يعنّيه ، وقد خبط ماعند أئمة الأدب من أصول كلام العرب خبطَ عصا الراعي فروع الغرب وألقى الدّلاء في بحارهم حتّى نزفها ، ومدّ البنان الى ثمارهم إلى أنْ قطفها ، وله في علم القرآن ، وشرح غوامض الاشعار تصنيفات بيديه » .

فلا غرابة ان يسير النّاس بعلمه ، ويستفيدوا من فوائده ، ولاغرابة وهو بهذه المنزلة أن يحظى بتقدير نظام الملك وأخيه واعزازهما واعظامهما .

ولاغرابة أيضاً ان تنال تفاسيره وشروحه هذه الشهرة التي أطبقت الأفاق ، ورفعت بها المطايا في السهل والاوعار ، وسارَتْ بها الفلك في البحار ، وهبّت هبوب الرّيح في الاقطار وهي كما قال الشاعر :

فسارَتْ مسير الشمس في كلّ بلدةٍ
وهَبَّت هبوبَ الريح في البَرّ والبَحْ

وقد وصفت أيضاً بأنّها غاية في أبوابها وانها من أجلّ التفاسير وأعظمها لما حوته من الاعراب والشواهد واللغة .

ولاشيء أدلّ على ذلك من كلام الامام ابي حامد الغزالي الذي كان يقول : من أراد أنْ يسمع التفسير كأنّه من فم رسول الله (ﷺ) فعليه بتفسير الواحدي .

وعلى الرغم من هذه الأهمية لهذه التفاسير وهذه الشهرة فانه لم ينشر منها إلّا الوجيز ، ولعل هذا هو السبب الذي دفعنا الى العزم بعد التوكل على الله لتحقيق أحد تفاسير هذا العالم الجليل والإمام المشهور أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي الثلاثة وهي : الوجيز والوسيط والبسيط ، ولمّا كان الوجيز قد طبع والبسيط قد ضاع قسم من أجزائه قررنا أن نحقق الوسيط وهو مختار من البسيط وقد عدّ هو الآخر غاية في بابه .

وبعد البحث واشارة استاذنا الدكتور عدنان محمد سلمان ـ جزاه الله خيراً ـ عثرنا على نسختين لهذا المخطوط النفيس في مكتبة الأوقاف المركزية في بغداد . إحداهما تتمم الأخرى وقد امتازت احداهما وهي التي جعلناها أصلاً بالدّقّة والصحّة والضبط والوضوح ، ولايستبعد ان تكون هذه النسخة قد كتبت في زمن المؤلف وقرئت عليه ، أو أنّها نسخت من قبل ناسخ بارع عالم حاذق ، ولانريد ان نطيل بوصف النسخ لأنّ لذلك موضعاً آخر .

وقد رأينا من المناسب أن ننشر مقدّمة هذا التفسير وسورة الفاتحة في عدد المورد الخاص بعلوم القرآن ليكون هذا الجزء فاتحة خير واعلاناً عن البدء بتحقيقه ونشره كاملاً إن شاء الله تعالى .

ويعود الفضل كل الفضل في هذا الى استاذنا الكريم الدكتور حاتم صالح الضامن وهيئة المجلة الموقرين الذين قبلوا نشر هذا الجزء من التفسير فجزاهم الله خيراً .

هذا وندعو الله أن يوفقنا إلى انجاز هذا العمل لنضيف لبنة جديدة الى بناء تراث أمتنا المجيدة يستبشر بها محبو التراث العربي الاسلامي وتقرّبها عيونهم ، وتكون شوكة تفقأ عيون الحاقدين والناقمين على هذا التراث التالد المجيد ، إنّه نعم المولى ونعم المعين ، وله الحمد من قبل ومن بعد .

التمهيد

حياة الواحدي

١ ـ اسمه : هو أبو الحسن علي بن أحمد[١] بن محمد بن علي الواحدي[٢] ، نسبة الى الواحد بن الدَّئن بن مهرة[٣] .

وهو من اولاد التجار ، وكان له اخ اسمه عبدالرحمن وكلّ قد روى العلم وحدَّث[٤] ، وكان الواحدي شافعياً[٥] .

وقد وصفته المصادر بأنّه قد انفق صباه وايام شبابه في التحصيل ، فأتقن الأصول على الأئمة ، وطاف على أعلام الأمّة ، وسافر في طلب الفوائد ، وأحسن كلُّ الإحسان في البحث والتفسير[٦] .

ويؤكد هذا مانقله الحموي[٧] من مقدمة التفسير البسيط حيث قال الواحدي عن نفسه إنّه لم يأل جهداً في احكام اصول هذا العلم حسب مايليق بزمانه وتسعه سِنُو عمره وذكر أنه اقتبس كلّ مااحتاج اليه في هذا الباب من مظّانّه ، وأخذه من معادنه .

ووصفت تفاسيره وشروحه بأنّها غاية في أبوابها ، فقد ذكر القفطي[٨] أنّ الواحدي قد أكثر في تفسيره البسيط الإعراب والشواهد واللغة ، ومن رآه علم مقدار ماعند الواحدي من علم العربية .

وذكر أيضاً أنّ الوسيط غاية في بابه .

وذكر ابن كثير[٩] أنّ شروح ديوان المتنبي على كثرتها ليس فيها مثل شرح الواحدي .

وقد دفع ذلك الامام ابا حامد الغزالي ان يسمّي تفاسيره بأسماء تفاسيره الواحدي[١٠] ، وأن يقول عنه : من أراد أنْ يسمع التفسير كأنّه من فم رسول الله (ﷺ) فعليه بتفسير الواحدي[١١] .

وبعد هذا فلا غرابة أن يتبوّأ الواحدي أعلى الدرجات العلمية ، ويصبح استاذ عصره وواحد دهره[١٢] ، وأن ينال الرزق والسعادة في تصانيفه وان يحظى باجماع الناس على حسنها ، والسير فيها ، وتدريسها[١٣] والاستفادة من فوائدها[١٤] .

ولاغرابة أيضاً أن يكون حقيقاً بكل احترام واعظام واعزاز واكرام من قبل نظام الملك وأخيه[١٥] .

ومع شهرة الواحدي التي اطبقت الآفاق ، وذيوع صيته فقد أغفلت المصادر سنة ولادته ، ولولا العماد الحنبلي[١٦] الذي ذكر عمره حين وفاته حيث قال : إنّ الواحدي توفي وكان من ابناء السبعين لما اهتدينا الى سنة ولادته فولادته على هذا تكون سنة (٣٩٩ هـ) لأن المصادر أجمعت على أنّ وفاته كانت سنة (٤٦٨ هـ) .

وذكر ياقوت الحموي[١٧] نقلاً عن الحسن بن المظفّر أنّ الواحدي هو الذي قيل فيه :

قد جمع العالَمُ في واحدٍ
عالِمنا المعروفِ بالواحدي

٢ ـ شيوخه :

لقد روى الواحدي وأخذ وسمع من كثير من العلماء واللغويين والنحاة ، وقد ذكر هو قسماً من هؤلاء العلماء وذكرت مصادر ترجمته القسم الآخر ، وسنورد هذه الأسماء مرتبة ترتيباً هجائياً . مع الاشارة ازاء اسم كل واحدٍ منهم وفي الهامش إلى المصادر التي ذكرته .

١ ـ أحمد بن ابراهيم النجّار ، ذكره السبكي[١٨] .

٢ ـ أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري ، ذكره السبكي[١٩] والسيوطي[٢٠] والداوودي[٢١] والعماد الحنبلي[٢٢] .

٣ ـ أبو اسحاق أحمد بن محمد الثعلبي ، ذكره ياقوت الحموي[٢٣] وابن خلكان[٢٤] واليافعي[٢٥] والسبكي[٢٦] وابن كثير[٢٧] والسيوطي[٢٨] والداوودي[٢٩] والعماد الحنبلي[٣٠] .

٤ ـ أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبدالله بن يوسف العروضي ، ذكره ياقوت الحموي[٣١] والسبكي[٣٢] والسيوطي[٣٣] والداوودي[٣٤] والعماد الحنبلي[٣٥] .

٥ ـ أبو ابراهيم اسماعيل بن ابراهيم الواعظ ، ذكره السبكي[٣٦] .

٦ ـ أبو بكر الخوارزمي ، ذكره ياقوت الحموي[٣٧] .

٧ ـ الرمادي ، ذكره ياقوت الحموي[٣٨] .

٨ ـ ابو عثمان سعيد بن محمد الحيري ، ذكره ياقوت الحموي[٣٩] .

٩ ـ ابو طاهر بن مَحْمِش الزيادي ، ذكره السبكي[٤٠] والسيوطي[٤١] والداوودي[٤٢] والعماد الحنبلي[٤٣] .

١٠ ـ أبو العباس الأصم ، ذكره ياقوت الحموي[٤٤] .

١١ ـ عبدالرحمن بن حمدان النصروبي ، ذكره السبكي[٤٥] .

١٢ ـ أبو الحسن علي بن أحمد البستي ، ذكره ياقوت الحموي[٤٦] .

١٣ ـ أبو الحسن علي بن محمد بن ابراهيم القُهُنْدَزِيّ الضرير ، ذكره ياقوت الحموي[٤٧] والسبكي[٤٨] والسيوطي[٤٩] والداوودي[٥٠] والعماد الحنبلي[٥١] .

١٤ ـ أبو الحسن علي بن محمد الفارسي ، ذكره ياقوت الحموي[٥٢] .

١٥ ـ أبو عمران المغربي المالكي ، ذكره ياقوت الحموي[٥٣] .

١٦ ـ أبو زكريا يحيى بن عليّ التبريزي ، ذكره الواحدي[٥٤] .

٣ ـ تلاميذه :

١ ـ أحمد بن عمر الإرغياني ، ذكره السيوطي[٥٥] والداوودي[٥٦] .

٢ ـ عبدالجبار بن محمد الخَوَاريّ ، ذكره السيوطي[٥٧] والداوودي[٥٨] .
٣ ـ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، ذكره ابن خلكان[٥٩] واليافعي[٦٠] وابن كثير[٦١] والدلجي[٦٢] وابن تغري بردي[٦٣] .

٤ ـ كتبه :

لقد ترك لنا الواحديّ كثيراً من المؤلفات في مختلف العلوم اللغوية والنحوية والدينية ، لكن أكثر هذه الآثار لم يصل الينا ، وقد طبع قسم من كتبه التي وصلت الينا ولم يزل القسم الآخر مخطوطاً . وسنورد هذه الكتب مرتبة هجائياً مع الاشارة إلى الكتاب الذي طبع وأمّا الكتب الأخرى فسنذكر إزاءها المصادر التي ذكرتها .

١ ـ أسباب النزول طبع سنة ١٣١٥ هـ ثم اعيد طبعه بتحقيق السيد أحمد صقر ١٩٧٠ .
٢ ـ الإغراب في الاعراب في النحو ذكره ياقوت الحموي[٦٤] والسبكي[٦٥] والسيوطي[٦٦] والداوودي[٦٧] والعماد الحنبلي[٦٨] .
٣ ـ إيضاح الناسخ والمنسوخ في القرآن ، ذكره الواحدي[٦٩] .
٤ ـ الايضاح والبيان لاسباب نزول آي القرآن وربما يكون هو أسباب النزول نفسه ، ذكره الواحدي[٧٠] .
٥ ـ بانت سعاد[٧١] .
٦ ـ البسيط في التفسير ، ذكره ياقوت الحموي[٧٢] وابن الاثير[٧٣] والقفطي[٧٤] وابن خلكان[٧٥] واليافعي[٧٦] والسبكي[٧٧] وابن كثير[٧٨] والدلجي[٧٩] وابن تغري بردي[٨٠] والسيوطي[٨١] والداوودي[٨٢] وحاجي خليفة[٨٣] والعماد الحنبلي[٨٤] .
٧ ـ البسيط في الأمثال ، ذكره الواحدي[٨٥] .
٨ ـ التحبير في شرح أسماء الله الحسنى ، ذكره السبكي[٨٦] وابن كثير[٨٧] والسيوطي[٨٨] والداوودي[٨٩] وحاجي خليفة[٩٠] .
٩ ـ تفسير النبيّ (ﷺ) ، ذكره ياقوت الحموي[٩١] والسبكي[٩٢] والداوودي[٩٣] والعماد الحنبلي[٩٤] .
١٠ ـ شرح ديوان المتنبي طبع ببرلين سنة ١٨٦١ .
١١ ـ شرح مقصورة ابن دريد ، ذكره الواحدي[٩٥] .
١٢ ـ الدعوات ، ذكره ياقوت الحموي[٩٦] والسبكي[٩٧] والداوودي[٩٨] وحاجي خليفة[٩٩] والعماد الحنبلي[١٠٠] .
١٣ ـ علم فضائل القرآن (وقد اختصره محمد بن طولون الدمشقي) ذكره حاجي خليفة[١٠١] .
١٤ ـ المحصول ، ذكره ياقوت الحموي[١٠٢] .
١٥ ـ المغازي ، ذكره السبكي[١٠٣] والسيوطي[١٠٤] والداوودي[١٠٥] وحاجي خليفة[١٠٦] والعماد الحنبلي[١٠٧] .
١٦ ـ المنيع في شرح كتاب الفصيح ، ذكره الواحدي[١٠٨] .
١٧ ـ نزهة الأنفس ، ذكره الواحدي[١٠٩] .
١٨ ـ نفي التحريف عن القرآن الشريف ، ذكره ياقوت الحموي[١١٠] والسبكي[١١١] والدلجي[١١٢] والسيوطي[١١٣] والداوودي[١١٤] والعماد الحنبلي[١١٥] .
١٩ ـ الوجيز في التفسير طبع بمصر ١٣٠٥ هـ .
٢٠ ـ الوسيط في الأمثال ، طبع بتحقيق د . عفيف محمد عبدالرحمن ، سنة ١٩٧٥ .

٥ ـ شعره :

ذكرت المصادر أنّ للواحدي شعراً مليحاً[١١٦] وأوردت له عدة مقطوعات . ومن هذه المقطوعات التي عدّها ياقوت الحموي[١١٧] من غرر شعره :

(١)

١ ـ أيا قادماً من طوس أهلاً ومرحباً
بقيت على الايام ماهبّت الصّبا
٢ ـ لَعَمْري لَئِن أحيا قُدُومُكَ مُذْنِفاً
بِحبِّك صَبّاً في هواك مُعَذَّبا
٣ ـ يظلُّ أسيرَ الوَجْدِ نَهْبَ صَبابَةٍ
ويمسي على جمر الغضا مُتَقَلِّبا
٤ ـ فَكم زَفْرةٍ قد هِجْتَها لو زَفَرْتُها
على سَدِّ ذي القرنين أمسى مذوّبا
٥ ـ وكم لَوْعةٍ قاسيْتُ يومَ تركتني
ألاحظُ منكَ البدر حين تغيَّبا
٦ ـ وعاد النَّهارُ الطَّلقُ أسودَ مُظْلماً
وعاد سَنَا الإصباحِ بَعْدَكَ غَيْهَبا
٧ ـ وأصبحَ حُسْنُ الصَّبر عَنِّيَ ظاعناً
وحَدَّدَ نحوي البينُ ناباً ومخلبا
٨ ـ فأُقسِمُ لو أبصرتَ طرفي باكياً
لشاهدتَ دَمْعاً بالدِّماءِ مُخضَّبا
٩ ـ مسالكُ لهوٍ سَدَّها الوَجْدُ والجوى
وروضُ سرورٍ عادَ بعدكَ مُجْدِبا
١٠ ـ فداؤكَ رُوحي يابنَ أكرمِ والدٍ
ويامَنْ فؤادي غيرَ حُبِّيهِ قد أبى

(٢)

١ ـ إنّ الرَّبيعَ بحسنِهِ وبهائِهِ
يحكيهما خطُّ الرّئيسِ أبي عُمَرْ
٢ ـ فكأنّه في الدَّرج يرقُم كاتباً
أولى لِطاف بنانه فَتْقَ الزَّهَرْ
٣ ـ خطٌّ غدامِكَ العيونَ ملاحةً
متنزِّهاً للحظِ قيداً للبصَرْ
٤ ـ أخْزَتْ نقوشَ الصين بدعةُ صُنْعِهِ
فتمَطَّلتْ ورقومَ موشيَّ الحِبَرْ

(٣)

١ - الخوخُ أرْسلَ رائداً متقدِّماً
مامثْلُهُ في طيبةٍ باكورَهْ
٢ - هو زائرٌ في كلِّ عامٍ مَرَّةً
عندَ المصيف فلِمْ يقال مَزوره

(٤)

١ - تشوَّهتِ الدنيا وأبدت عَوارَها
وضاقتْ عليَّ الأرضُ بالرَّحبِ والسَّعَهْ
٢ - وأظْلَمَ في عيني ضياءُ نهارِها
لتوديع مَنْ قد بانَ عنِّي بأرْبَعَهْ
٣ - فؤادي وعَيْشي والمسرَّةُ والكرى
فإنْ عادَ عادَ الكُلُّ والأنْسُ والدَّعَهْ

وهناك أبيات اخرى في الدمية والإنباه .

النص المحقق

وهو

مقدّمة تفسير الوسيط بين الوجيز والبسيط

وسورة الفاتحة للامام المفسِّر

أبي الحسن علي بن أحمد

الواحدي ت ٤٦٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ، رب تمم الخير .

الحمدُ لله القادر العليم ، الناصر الحليم ، الجواد الكريم ، الربّ الرّحيم ، منزل الذكر الحكيم ، والقرآن العظيم على المبعوث بالدين القويم ، والصرّاط المستقيم ، خاتم الرسالة ، والهادي من الضّلالة ، المرسل بأشرف الكتب الى العجم والعرب ، مُحَمَّدٍ النبي العربي ـ صلّى الله عليه وعلى آله الهداة المهتدين ، وأصحابه الأخيار المنتجبين وسلّم كثيراً .

وبعد هذا فالعلم اشرفُ مَنْقَبَةٍ ، وأجلُّ مرتبةٍ ، وأبهى مفخرٍ ، وأربح متجرٍ ، به يُتوسَّل الى توحيد ربّ العالمين وتصديق أنبيائه المرسلين ، والعلماء خواص عباد الله الذين اجتباهم ، والى معالم دينه هداهم ، وبمزيةِ الفضل آثرهم واصطفاهم ، هم ورثةُ الأنبياء وخلفاؤهم ، وسادة المسلمين وعرفاؤهم ، والدعاة الى المحجة المثلى ، والمتمسكون بالشريعة والتقوى .

أخبرنا أبو سعدٍ عبدالرّحمن بن محمد الزنجاري حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن حمّاد حدّثنا عبد الرّحمن بن عبد الله بن معاوية البكّائي حدثنا محمد بن مُطَرِّف السعدي عن شريك عن أبي اسحق عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله (ﷺ) : (العلماءُ وَرَثَةُ الأنبياء يُحِبُّهم أهْلُ السَّماء ويستغفر لهم الحِيتانُ في البحر إلى يوم القيامَة)[1] .

حدثنا محمد بن ابراهيم بن محمد بن يحيىٰ حدثنا ابو بكر عبدالله بن يحيىٰ الطلحي ، حدَّثنا ابو يعلىٰ محمد بن أحمد بن عبيد المالطي حدثنا احمد بن صالح عن منبِّه بن عثمان عن صَدَقَةَ بن عبدالله عن طلحة بن زيد عن موسى بن عبيدة عن سعيد بن هند عن أبي موسىٰ الأشعري قال : قال رسول الله (ﷺ) (يبعثُ الله العبادَ يومَ القيامة ثم يُميِّزُ العلماء فيقول : يامعشر العلماء لم أضع علمي فيكم إلّا لعلمي بكم ولم أضعه فيكم لاعذبكم انطلقوا الى الجنّة فقد غفرت لكم) .

وإنّ أُمّ العلوم الشرعية ومجمع الأحكام الدينية كتاب الله المودع نصوص الأحكام ، وبيانَ الحلال والحرام ، والمواعظ النافعة والعبر الشافية ، والحجج البالغة ، والعلم به أشرف العلوم وأعزها وافضلها وأجلها وأكرمها ، لأن شرف العلوم بشرف المَعلوم ، ولما كان كلامُ الله تعالىٰ اشرف المعلومات كان العلم بتفسيره ، وأسباب تنزيله ، ومعانيه وتأويله أشرفَ العلوم ، وهو شرف هذا العلم وعزته في نفسه انه لايجوز القول فيه بالعقل والتدبر والرأي والتفكر دون السماع والأخذ عمَّن شاهدوا التنزيل بالرِّواية والنَّقل ، والنبيُّ (ﷺ) فمن بعده من الصَّحابة والتَّابعين قد شدَّدوا في هذا حتّى جعلوا المصيب فيه برأيه مخطئاً .

أخبرنا ابو نصر محمد بن عبدالله بن محمد بن زكرياء الجوزقي اخبرنا بشر بن احمد بن بشر اخبرنا احمد بن عليّ بن المثنىٰ اخبر بشر بن الوليد الكندي اخبرنا سهيل اخو حزم عن أبي عمران الجوني عن جندبٍ قال : قال رسول الله (ﷺ) : (مَنْ قَالَ فِي القرآن برأيِهِ فأصَابَ فقدْ أخطأ)[٢] .

أخبرنا ابو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم ، أخبرنا الحسن بن عليّ الشَّيبانيّ أخبرنا محمد بن حمدون بن خالد أخبرنا عليّ بن صدقة الرَّقيّ .

أخبرنا عبدالله بنُ جعفرٍ الرَّقيّ ، اخبرنا المعتمر بن سليمان عن ليثٍ عن الحسن عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاسٍ قال : قال رسولُ الله (ﷺ) : (مَنْ قالَ في القرآن بغير عِلْمٍ فليَتَبَوَّأ مقعَدَهُ من النّارِ) .

وكلُّ عِلْمٍ سوى الكتاب والسُّنَّةِ ومايستَنِدُ إليهما فهو باطل ، ومن تحلَّى من العلماء بغيرهما فهو عاطل فيهما الآيات الواضحة الباهرة ، والسنَنُ المأثورة الزَّاهرة ، على هذا دَرَجَ الأوّلون ، والسَّلَف الصَّالحون .

أخبرنا اسماعيل بن ابراهيم النصر اباذي ، أخبرنا اسماعيلُ بن نجيدٍ ، أخبرنا محمد بن الحسن بن الخليل أخبرنا محمد بن عبيد أخبرنا صالح بن موسىٰ عن عبدالعزيز بن رُفيْعٍ عن أبي صالحٍ عن أبي هُرَيْرَةَ قال : قال رسولُ الله (ﷺ) : (إنّي قَدْ خَلَّفْتُ فيكم (٢ أ) شيئين لن تضِلّوا أبداً ماأخذتم بهما وعملتم بما فيهما كتاب الله عزّ وجلّ وسُنّتي ولن يتفرَّقا حتّى يردا عليّ الحوضَ)[٣] .

وقد سبق لي قبل هذا الكتاب بتوفيق الله وحسن تيسيره مجموعاتٌ ثلاثٌ في هذا العلم : معاني التفسير ومسند التفسير ومُختصر التفسير ، وقديماً كنت أُطالب إملاء كتاب في تفسير القرآن وسيط ينحَطّ عن درجة البسيط الذي تَنْجَرّ فيه أذيال الأقوال ويرتفع عن مرتبة الوجيز الذي اقتصر فيه على الاقلال ، والايّام تدفع في صدر المطلوب بصروفها على اختلاف صُنُوفها وسآخذُ نفسي على فُتُورها ، وقريحتي على قصورها ، لما أرى من جفاء الزّمان ، وخمول العلم وأهله ، وعُلُوّ أمر الجاهل على جهله بتصنيف تفسير أعفيه من التطويل والإكثار ، وأُسلمه من خلل الوجازة والاختصار وآتي به على النمط الأوسط والقصد الأقوم حسنةً بين البيتين ، ومنزلةً بين المنزلتين ، لا إقلال ولا إملال ، ونعم المعين توفيق الله تعالىٰ لاتمام مانويت ، وتيسيره لاحكام ماقصدت .

القول فيما روي من فضائل سورة الفاتحة

أخبرنا أبو نصر أحمد بن محمد بن ابراهيم المهرجاني أخبرنا عبيدالله بن محمد بن الزاهد اخبرنا عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز أخبرنا علي بن مسلم أخبرنا حرمي بن عمارة حدّثني شعبة عن خُبيب بن عبدالرحمن عن حفص عن عاصم عن أبي سعيد بن المعلّى ، قال : (كنت أصلّي فمرّ بي النبي (ﷺ) فناداني فلم آتِهِ حتّى فرغت من صلاتي ، فقال : مايمنعك أن تأتيني إذْ دعوتُك ،

قلت : كنت أصلّي ، قال : ألم يقل الله عز وجل : (استجيبوا لله وللرسولِ إذا دعاكم)[4] . أتحب أن اعلمك اعظم سورةٍ في القرآن قبل ان تخرج من المسجد ، قال : فذهب يخرج فذكرته ، فقال : (الحمد لله رب العالمين) رواه البخاري[5] في الصحيح .

عن يحيى بن سعيد عن شعبة أخبرنا الاستاذ ابو طاهر محمد بن محمد بن محمر الزيادي أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيىٰ بن بلال أخبرنا يحيىٰ بن الربيع المكّي ، حدَّثنا سفيان بن عيينة حدّثني العلاء بن عبدالرَّحمن عن أبيه عن ابي هريرة عن النبي (ﷺ) ، قال : (قال الله عز وجل قسمتُ الصَّلاة بيني وبين عبدي ، فإذا قال العبد : الحمد لله ربّ العالمين ، قال : حمدني عبدي ، فإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال : مجدني عبدي ، أو أثنىٰ عليّ عبدي ، وإذا قال : مالك يوم الدين ، قال : فوَّض اليَّ عبدي ، وإذا قال : إيّاك نعبد وإيّاك نستعين ، قال : هذه بيني وبين عبدي ، ولعبدي ماسأل ، وإذا قال : اهدنا الصِّراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال : هذه لك) رواه مسلم[6] .

عن اسحاق عن سفيان اخبرنا ابو منصور محمد بن محمد بن المنصوري أخبرنا علي بن عمر بن مهدي حدثنا أبو بكر يوسف بن يعقوب الأزرق حدّثني عدي بن يعقوب بن اسحاق حدّثنا أبي عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : (قال الله عزّ وجلّ إنّي قسمت الصَّلاة بيني وبين عبدي نصفين : فنصفها له ، يقول عبدي إذا افتتح الصلاة : بسم الله الرحمن الرحيم فيذكرني عبدي ، ثم يقول : الحمد لله رب العالمين ، فأقول : أثنىٰ عليَّ عبدي ، ثم يقول : مالك يوم الدين فأقول : مجّدني عبدي ، ثم يقول : إيّاك نعبد وإيّاك نستعين ، فهذه الآية بيني وبين عبدي نصفين ، وآخر السورة لعبدي ولعبدي ماسأل)[7] ، وما أسنىٰ هذه الفضيلة ، إذْ لم يرد في شيء من القرآن هذه المقاسمة التي رويت في الفاتحة بين الله وبين العبد .

أخبرنا عبدالقاهر بن طاهر البغدادي ، أخبرنا محمد بن جعفر بن مَطَرٍ ، حدّثنا ابراهيم بن عليّ الذّهليّ أخبرنا يحيىٰ بن يحيىٰ أخبرنا هُشَيْم عن أبي بشر عن أبي المتوكل عن أبي سعيد الخدريّ أنّ ناساً من أصحاب رسول الله (ﷺ) كانوا في سفرٍ فمرّوا بحيٍّ من أحياء العرب ، فاستضافوهم فلم يُضيفوهم ، فقيل لهم : هل فيكم راقٍ فانّ سيِّد الحيّ لديغٌ أو مصابٌ ، فقال رجل منهم : نعم ، فأتاه فرقاه بفاتحة الكتاب فبَرِىء الرجُلُ فأعطي قطيعاً من غنم ، فأبىٰ ان يقبلها (٢ ب) قال : حتّى اذكر ذلك لرسول الله (ﷺ) ، فأتىٰ النبي (ﷺ) فذكر ذلك له ، فقال : يارسول الله مارقيت إلاّ بفاتحة الكتاب ، فتبسم ، وقال : مايدريك أنّها رُقية ، ثم قال : (خذوا منهم واضربوا لي بسهمٍ معكم) رواه مسلم[8] عن يحيىٰ بن يحيىٰ ، ورواه البخاري[9] عن أبي السَّمان عن أبي عوَّانة عن أبي بشر .

أخبرنا أبو عبدالرّحمن بن محمد بن محمد بن جعفر أخبرنا أبو علي بن أحمد الفقيه أخبرنا الحسين بن محمد بن مصعب أخبرنا يحيىٰ بن حكم أخبرنا ابن أبي عديّ عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي سعيد الخدري ، قال : (نزلنا منزلاً فجاءتنا جارية ، فقالت : إنّ نفرنا غُيَّبٌ ، وإنّ سيّد الحيِّ سليم ، فهل في القوم من راقٍ ، فقام رجل ، فقال : نعم وماكنّا نأبُنُهُ[10] برقية ، ولانراه يحسنها ، فذهب فرقاه ، فأمر له بثلاثين شاةً .

وسقانا لبناً ، قال : فلمّا جاء قلنا له : ماكنا نراك تُحسن رقيةً ، قال : ولاأحسنها إنّما رقيته بفاتحة الكتاب ، قال : فلمّا قدمنا المدينة ، قلت : لاتُحْدِثوا فيها شيئاً ، حتى آتي رسول الله (ﷺ) فأذكر ذلك له ، فأتيتُه فذكرتُ ذلك له ، فقال : ماكان يدريك أنّها رقية اقتسموها ، واضربوا بسهمي معكم) رواه البخاري[11] عن محمد بن المثنىٰ عن وهب بن جرير ، ورواه مسلم[12] عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون كلاهما عن هشام بن حسَّان .

بيان نزول الفاتحة

أخبرنا سعيد بن محمد بن أحمد العدل أخبرنا جدّي ، أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد الحرشي ، أخبرنا ابراهيم بن الحارث

وعن سهل بن المغيرة قالا : حدّثنا يحيىٰ بن أبي بكر حدثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن أبي ميسرة (أنّ رسول الله (ﷺ) كان إذا برز سمع منادياً ينادي به : يامحمد ، فإذا سمع الصوت انطلق هارباً ، فقال له ورقة بن نوفل : إذا سمعت النداء فاثبُتْ حتّىٰ تسمعَ مايقولُ لك ، قال : فلمّا برز سمع النداء يامحمد ، قال : لبيك ، قال : قل : أشهد أن لاإله الا الله ، وأشهد ان محمداً رسولُ الله ، ثمّ قال : قل الحمدُ لله ربّ العالمين الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، حتّى فرغ من فاتحة الكتاب) .

القول في آية التسمية :

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي ، أخبرنا محمد بن يعقوب أخبرنا الرَّبيع ، أخبرنا الشافعيّ ، أخبرنا عبدالمجيد عن ابن طريح أخبرني أبي عن سعيد بن جبير « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني »[١٣] هي فاتحة الكتاب .

قال أبي : وقرأها عليّ سعيد بن جبير حتّى ختمها ، ثم قال : بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة ، قال سعيد : وقرأها عليّ ابن عباس كما قرأتها عليك ، ثم قال : بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة ، قال ابن عبّاسٍ فذخرها لكم فما اخرجها لأحد قبلكم .

أخبرنا عبدالرّحمن بن حمدان العدل ، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن الحسين القاضي بالكوفة ، أخبرنا أبو جعفر محمد بن جعفر الأشجعي ، أخبرنا عبّاد بن يعقوب أخبرنا عمر بن هارون عن ابن جريج عن ابن أبي مُلَيْكَة عن أمّ سلمة ، قالت : سمعت رسول الله (ﷺ) ـ يقول : (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى آخر السورة سبع آياتٍ ، بسم الله الرحمن الرحيم إحداهن) وعدّهنّ عمر في يده ، وعدّهنّ ابن جريج في يده ، وعدّهنّ أبو سعيد في يده عدد الاعراب .

أخبرنا أبو عبدالله بن يحيىٰ ، أخبرنا محمد بن الحسن السراج ، أخبرنا علي بن سليم البغدادي ، أخبرنا علي بن حرب الموصلي ، أخبرنا إسحاق بن عبدالواحد ، أخبرنا المعافىٰ بن عمران عن عبدالحميد بن جعفر عن نوح بن أبي بلال عن أبي سعيد المقبريّ عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله (ﷺ) : (الحمد لله رب العالمين سبع آيات أولاهن بسم الله الرحمن الرحيم) . وهي سبع المثاني وهي فاتحة الكتاب وهي أم القرآن ، هذه الأخبار ناطقة بأنّ التسمية من الفاتحة وكذلك هي في غيرها من السّور آية .

أخبرنا أبو عبدالله بن اسحاق المُزَكّى أخبرنا اسماعيل بن احمد الخلالي ، أخبرنا عبدالله بن زيدان البجلي ، أخبرنا أبو كريب ، أخبرنا سفيان بن عُيَيْنَة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس ، قال : (كان رسول الله (ﷺ) ـ لايعرفُ خَتْمَ السور حتّى ينزلَ عليه (٣ أ) بسم الله الرّحمن الرّحيم) .

أخبرنا عبدالقاهر بن طاهر ، أخبرنا محمد بن جعفر بن مطر ، أخبرنا ابراهيم بن عليّ الذُّهلي ، أخبرنا يحيىٰ بن يحيىٰ ، أخبرنا عمر بن الحجاج العبدي عن عبدالله بن أبي حسين ذكر عن عبدالله بن مسعود ، قال : (كنّا لانعلم فصل مابين السّورتين حتّى ينزل بسم الله الرحمن الرحيم) .

وأمّا التفسير فإنّ المتعلق به الباء محذوف ، ويُسْتَغْنَىٰ عن إظهاره ، لدلالة الحال عليه ، وهو معنىٰ الابتداء ، كأنّه قال : بدأت بسم الله ، وأبدأ بسم الله ، والحال تُبَيِّنُ أنّكَ مبتدىء فاستغنيت عن ذكره وهي أداة ، أي : تجر مابعدها من الأسماء ، نحو : من وعن وفي ، وحذفت الالفُ من بسم الله ، لأنّها وقعت في موضع معروف لايجهل القارىء معناه ، فاسْتُخِفَّ طَرْحُها ، واثبتت في قوله : (فَسَبِّحْ باسمِ ربِّكَ العظيم)[١٤] لأنّ هذا لايكثرُ كثرة بسم الله ، ألاَ ترى أنّك تقول : بسم الله عند ابتداء كل شيء ، ولاتحذف الألفُ إذا أُضِيفَ الاسم إلى غير الله ولامع غير الباء من الحروف ، فتقول : لاسم الله حلاوة في القلوب ، وليس اسم كاسم الله ، فتُثْبِتُ الالفَ مع اللام والكاف هذا في سقوطها في الكتابة .

أمّا سقوطها في اللّفظ فلأنّها للوصل ، وقد استغني عنها بالباء ، وعند البصريين[١٥] أنّ الاسم مشتق من السّمو ، لأنّه يعلو المسمىٰ ، فالاسم ماعلا وظهر فصار علماً للدلالة على ماتحته من المعنىٰ ، وعند الكوفيين الاسم مشتق من الوسم والسّمة ، وهي العلامة ، ومن هذا قال أبو العبّاس ثعلب : الاسمُ سمةٌ يوضع على الشيء يُعرَفُ به ، والصحيح ما قال أهل البصرة ؛ لأنّه لو كان مشتقاً من الوسم لقيل في تصغيره : وُسَيْم ، كما قالوا : وُعَيْدَة ووصَيْلَة في تصغير عدةٍ وصلةٍ ، فلمّا قالوا : سُمَيٌّ ظهر أنه من السّمو لامن السِّمَة .

وأمّا الله فإنّ كثيراً من العلماء ذهبوا الى أنّ هذا الاسم ليس بمشتق ، وأنّه اسم تفرّد به الباري سبحانه وتعالىٰ ، يجري في وصفه مجرى الاسماء الأعلام ، ولايشركه فيه احد ، قال الله تعالىٰ : ﴿ هل تعلم له سميّا ﴾[١٦] أي : هل تعلم أحداً يسمىٰ الله غيره ، وهذا القول يُحْكَىٰ عن الخليل بن أحمد[١٧] وابن كيسان ، وهو اختيار أبي بكر القفّال الشاشيّ ، والأكثرون ذهبوا الى أنّه مشتق من قولهم : أَلَهَ أَلَهَةً ، أي : عبد عبادة ، وكان ابن عباس[١٨] « ويذرَكَ وإلَهَتَكَ »[١٩] قال : معناه : عبادتك ، ويقالُ : تألّه الرَّجُلُ ، إذا نَسَكَ ، قال رؤبة[٢٠] :

سَبُّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ من تألُّهِ

ومعناه : المستحق للعبادة ، وذو العبادة : الذي إليه تُوجَّهُ العبادة ، وبها يُقصَدُ ، وقال أبو الهيثم الرازيّ[٢١] : الله أصله إله ، قال الله تعالىٰ : « وماكان معه من إلهٍ إذاً لذهب كلُّ إلهٍ بما خلق »[٢٢] ولايكون إلهاً حتّى يكون لعباده خالقاً ورازقاً ومُدَبّراً ، وعليه مقتدراً ، فمن لم يكن كذلك فليس بإله ، وإنْ عُبِدَ عُبِدَ ظلماً بل هو مخلوقٌ ومُتَعَبَّدٌ ، قال : وأصل إله ولاهٌ فقلبتِ الواوُ همزةً ، كما قالوا للوشاحِ[٢٣] : إشاح ، وللوِجاح : إجاح ، ومعنىٰ ولاه : أنّ الخلق يَوْلَهُونَ إليه في حوائجهم ، ويتضرعون فيما ينوبهم ، ويفزعون إليه في كلّ مايصيبهم ، كما يَوْلَهُ كل طفلٍ إلى أُمّه .

قوله : « الرحمن الرحيم » .

قال[٢٤] الليث : هما اسمان اشتقاقهما من الرَّحمة ، وقال أبو عبيدة[٢٥] : هما صفتان لله معناهما : ذو الرَّحمة ، ورحمة الله : إرادته الخيرَ والنِّعمةَ والإحسانَ إلى من يرحمه ، والرّحمن عند قومٍ أشدُّ مبالغةً من الرَّحيم ، كالعلّام من العليم ، ولهذا قيل : رحمان الدّنيا ، ورحيم الآخرة ؛ لأنّ رحمته في الدّنيا عَمَّتِ المؤمنَ والكافرَ ، والبَرَّ والفاجرَ ، ورحمته في الآخرةِ اختُصَّتْ بالمؤمنين ، وقال آخرون : إنّهما ، بمعنىً واحدٍ كَنَدْمانٍ ونديمٍ ، وَلَهْفانٍ ولهيفٍ ، وجُمِعَ بينهما للتأكيد ، كقولهم : فلان جادٌّ مُجِدٌّ .

قوله : « الحمدُ لله »[١] .

قال ابن عبّاس[٢٦] : يعني الشكر لله ، وهو أنّه صنع إلى خلقه فحمدوه ، يعني : أنّه أحسن إليهم فشكروه ، وأثنوا عليه ، والحمد قد يكون شُكراً للصّنيعة ، وقد يكون ابتداء الثناء على الرَّجُلِ ، يقال : حَمِدتُه على معروفه ، كما يقال : شكرتُه ، ويقال : حمدتُه على عِلْمِهِ وعلى شَجاعَتِهِ ، إذا أثنيتَ عليه بذلك ، ولايقال في هذا المعنىٰ : شكرتُه ، فحمدُ الله : الثناءُ عليه ، والشُّكْرُ لِنِعَمِهِ .

قال ابن الأنباريّ : الحمدُ لله يَحْتَمِلُ أن يكونَ هذا (٣ ب) إخباراً أخبر الله تعالىٰ به ، والفائدة فيه أنّه بَيَّنَ أنّ حقيقةَ الحمد

له ، وتحصيل كلِّ الحمدِ له لالغيره ، ويحتمل أنْ يكون هذا ثناءً أثنىٰ به على نفسه ، علَّمَ عبادَه في أوّل كتابه ثناءً عليه ، وشُكراً له يكتسبونَ بقوله وتلاوته أعْظَمَ الثواب ، ويكون المعنىٰ : قولوا الحمد لله ، فيُضْمَرُ القول ههنا ، كما يُضْمَرُ في قوله : « والذين اتَّخذوا من دونه أولياءَ مانعبدهم إلاّ ليقربونا »[٢٧] معناه : يقولون مانعبدهم .

وقوله : « لله » .

هذا اللام تسمىٰ لامَ الإضافةِ ، ولها معنيان ، أحدهُما : المِلك ، نحو : المالُ لزيدٍ ، والآخر : الاستحقاق ، نحو : الجُلُّ للدّابّة ، أي : اسْتَحقَّتْهُ ، وكذلك : الباب للدّار .

وقوله : « رب العالمين » .

الرّبّ في اللّغة له معنيان ، أحدهما : يكون من الرَّبِّ بمعنىٰ التربية ، يقال : رَبَّ فلان الصَّنيعة يَرُبُّها رَبّاً ، إذا أتمَّها وأصلحها ، فهو ربٌّ ، مثل : برٍّ وطَبٍّ ، قال الشاعر[٢٨] :

يَـرُبُّ الـذي يـأتي مِـنَ الخـيرِ أنَّـه
إذا فَـعَـلَ المـعـروفَ زادَ وتَمَّـمَا

والمعنىٰ على هذا أنَّه يُرَبّي الخلقَ ويغذوهم بما يُنْعِمُ عليهم ، والثاني : أنْ يكونَ الرَّبُّ بمعنىٰ المالِك ، يقال : رَبَّ الشّيء ، إذا ملكَهُ ، وكُلُّ مَنْ مَلَكَ شَيْئاً فهو رَبُّه ، يقال : هو ربُّ الدّارِ ، وَرَبُّ الضَّيعَةِ ، والله تعالىٰ ربُّ كلِّ شيءٍ ، أيْ : مالِكُهُ .

وقوله : « العالمين » .

هو جمع عالَمٍ على وزن فاعَلٍ ، نحو : خاتَمٍ وطابَعٍ ودانَقٍ وقالَبٍ ، وهو اسمٌ عامٌّ لجميع المخلوقات ، يقال : العالَم مُحْدَثٌ ، وهذا قول الحسن ومجاهد وقتادة في تفسير العالَم أنّه جميعُ المخلوقات .

قوله : « مالك يوم الدّين »[٣] .

المالِك : الفاعل من المُلْكِ ، يقال : مَلَكَ الشّيءَ يَمْلِكُهُ مِلْكاً ومَلْكاً ومَمْلَكَةً ، ويُقْرَأُ هذا الحرفُ بوجهين[٢٩] : « مالك ومَلِك » فمن قرأ : « مَلِك » قال : المِلْكُ أشْمَلُ وأتَمُّ ، لأنَّه يكون مالِكٌ ، ولامُلْكَ له ولايكون مَلِكٌ إلاّ وله مِلْكٌ فكلُّ مَلِكٍ مالِكٌ ، وليس كلُّ مالِكٍ مَلِكاً ، ويقوّي هذه القراءة قولُه تعالىٰ : ﴿ فتعالىٰ الله المَلِكُ الحقُّ ﴾[٣٠] وقوله : ﴿ المَلِكُ القُدُّوسُ ﴾[٣١] ﴿ ولمنِ المُلْكُ اليومَ ﴾[٣٢] ولم يَقُلِ : المِلْكُ .

ومن قرأ « مالِك » فلأنَّهُ أجْمَعُ وأوسَعُ ؛ لأنّه يقال : مالِك الطَّيرِ والدَّواب والوحوش وكلِّ شيء ، ولايقال : مَلِكُ كُلِّ شيءٍ ، إنّما يقال : مَلِكُ النّاسِ ، ولايكون مالِكُ الشّيءِ إلاّ وهو يَمْلِكُهُ ، وقد يكون مَلِكُ الشيء وهو لايملكُهُ ، كقولهم : مَلِكُ العربِ والعَجَمِ .

و « الدّين » الجزاءُ .

و « يوم الدّين » يوم يدين الله العبادَ بأعمالهم ، تقولُ العربُ : دِنْتُهُ بما فَعَلَ ، أيْ : جازيتُه ، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ إنّا

لمدينون ﴾[٣٣] أي : مَجْزِيّون ، وتقولُ العربُ : (كما تَدِينُ تُدانُ)[٣٤] أي : كما تجازي تجازَى ، ومعنىٰ قوله : ﴿ مالك يوم الدّين ﴾ أنّهُ يَتَفَرَّدُ في ذلك اليوم بالحُكْمِ بخلافِ الدّنيا فإنّه يحكُمُ فيها الوُلاةُ والقُضاةُ ، ولايملِكُ أحَدٌ الحُكْمَ في ذلك اليوم إلّا الله ، وتقديرُ الآية : مالِك يومِ الدّين الأحكامَ ، وحُذِفَ المفعولُ من الكلام للدّلالةِ عليه .

ومن قرأ « مَلِك يوم الدّين » فمعناه : أنّه يتفرّد بالمُلْكِ في ذلك اليوم ، لزوال مُلْكِ الملوكِ ، وانقطاع أمرهم ونهيهم ، وهذا كقوله : ﴿ المُلْكُ يومئذٍ الحقّ للرحمن ﴾[٣٥] .

قوله : « إيّاك نعْبُدُ »[٤]

إيّا : ضمير المنصوب المنفصل ، وتدخل عليه المكانيّ من الياء والنون ، والكاف والهاء ، نحو : إيّايَ وإيّانا وإيّاكَ وإيّاهُ ، ويُستعمَلُ مقدماً على الفعل ، نحو : إيّاكَ نعني ، وإيّاك نعبد ، ولايُستعمل مؤخراً ، لايقالُ : قصدتُ إيّاكَ ، فإنْ فصلْت بينه وبين الفعل بالاجاز التّأخير ، نحو : ماعنيت الا إيّاك .

ونعبد : من العبادة ، وهي الطاعة مع الخنوع ، ولايستحقها إلّا الله عزَّ وجلَّ ، وسُمِّي العبدُ عبداً ، لذِلّته وانقياده لمولاه ، وطريق معبَّد ، إذا كان مُذللاً بالأقدام .

« وإياك نستعينُ » ومنك نطلب المعونةَ على عبادتك ، وعلى أمورنا كُلِّها .

قوله : « اهدنا الصِّراطَ المستقيمَ »[٥] .

معنىٰ الهداية في اللغة : الدِّلالة ، يقال : هداه في الدّين يهديهِ هُدىً ، وهداه يهديه هِدايةً ، إذا دلَّهُ على الطَّريقِ ، والصِّراط : أصلهُ بالسِّين ، لأنّه من الاسترواط بمعنىٰ الابتلاع ، فالسِّراط : يَسْتَرِطُ السَّابلة ، فمن قرأ بالسِّين[٣٦] فعلىٰ أصْلِ الكلمة ، ومن قرأ بالصاد فلأنها أخفُّ على اللسان ، لان الصاد حرفٌ مطلق كالطَّاءِ فيقربان ويحسنان في السمع ، ومن قرأ بالزَّاي أبدَلَ مِنَ السِّين حرفاً مجهوراً حتّى يُشبه الطَّاء في الجهر ، ويحتجّ بقول العرب[٣٧] : زقر وصقر في صقر ، ومن قرأ بإشمام الزّاي فإنه لم يجعلها زاياً خالصة ولاصاداً (٤ أ) خالصةً لئلا يلتبس أصلُ الكلمة بأحدهما ، وكلُّها لغات ، ومعنىٰ سؤال المسلمين الهدى وهم مهتدون التثبيت على الهدى ، وهذا كما تقول للقائم : قم لي حتّى أعود إليك ، أي : اثبت على قيامك .

« والصراط المستقيم » كتاب الله عز وجل ، وهو القرآن ، رُويَ ذلك عن رسولِ الله[٣٨] (ﷺ) وعبد الله بن مسعود ، وأبي العاليةِ ، وروى السُّدِّيّ عن أبي مالك عن ابن عبّاس[٣٩] قال : هو الإسلام ، وكذلك روي عن جابرٍ .

قوله : « صراطَ الذينَ أنعمتَ عليهم »[٦] .

أي : بالثبات على الإيمانِ والاستقامةِ والهدايةِ الى الصِّراط ، وهم : النبيّ (ﷺ) وأبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ، وهذا قول أبي العاليةِ ، وقال السُّدِّيُّ وقتادة : يعني طريق الأنبياء ، وقال ابن عبّاس[٤٠] : هم قومُ موسىٰ قبلَ أنْ يُغيِّروا دينَ الله تعالى .

قوله : « غير المغضوب عليهم »[٧] .

غير منخفض على ضربين : على البدل من الذين ، وعلى صفة الذين ، لأنّ غير المغضوبِ عليهم هم الذينَ أنعم عليهم ، لأن من انعم عليهم بالإيمان فهو غير المغضوب عليه ، ومعنىٰ الغضب من الله : إرادة العقوبة .

قوله : « ولا الضّالين » .

أصل الضَّلال في اللغة : الغيبوبة ، يقال : ضلَّ الماء في اللبن ، إذا غابَ فيه ، وضلَّ الكافرُ ، إذا غاب عن المحجة ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ أإذا ضللنا في الأرض ﴾[٤١] أي : غبنا فيها بالموت ، وصرنا تُراباً .

و « المغضوب عليهم » : اليهود ، و « الضالين » : النّصارى ، والله تعالى حكم على اليهود بالغضب في قوله : « من لعنه الله وغضب عليه »[12] وعلى النّصارى بالضّلال في قوله : « ولاتتّبعوا أهواء قوم قد ضلّوا من قبل »[13] ومعنىٰ الآية : اهدنا صراط الذين انعمت عليهم بالاسلام ، ولم تغضب عليهم كما غضبت على اليهود ، ولم يضلّوا عن الحق كما ضلّت النّصارىٰ .

ويُستحبُّ للقارىء أن يقول بعد قراءة الفاتحة : آمين مع سكتةٍ على نونِ « ولا الضالين » ليتميّز ماهو قرآن مما ليس بقرآن ، وفيه لغتان[14] : آمين بالمدّ ، وأمين بالقصر ، ومعناها : اللهم استجب ، وهي موضوعة لطلب الإجابة . أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد التميمي ، اخبرنا عبدالله بن محمد بن حيّانَ أخبرنا عبدالرحمن بن محمد الرّازي ، أخبرنا سهل بن عثمان أخبرنا يحيىٰ بن أبي زائدة عن أبي إسحاق عن أبي ميسرةَ أنّ النبي (ﷺ) قال : (إنّي إذا برزت أسمع من ينادي ، ولا أرى شيئاً ، فقال له ورقةُ بنُ نوفلٍ ، إذا سمعت النّداء فاثبت ، ففعل ، فقال له جبرئيل : قل بسم الله الرحمن الرحيم ، فقالها ، ثم أقرأه « الحمد لله رب العالمين » إلى آخرها ، ثُمّ قال : قُلْ آمين ، فقال : آمين » .

أخبرنا الاستاذ ابو طاهرٍ الزّياديُّ والقاضي أبو بكر الحميريّ ، قالا : أخبرنا الإمام المعقليُّ ، أخبرنا محمّد بن يحيىٰ الذّهلي ، أخبرنا عبد الرّزّاق ، أخبرنا معمرٌ عن الزُّهري عن أبي المسيب عن أبي هريرة أنّ النبي (ﷺ) قال : (إذا قال الإمام غيرِ المغضوب عليهم ولا الضّالين فقولوا آمين ، فإنّ الملائكة تقول آمين ، فمن وافق تأمينَ الملائكة غُفر له ماتقدّم من ذنبه) رواه مسلم[15] عن حرملة عن ابن وهبٍ عن يونس عن الزُّهريِّ .

الهوامش

١ ـ معجم الادباء ١٢ / ٢٥٧ .
٢ ـ وفيات الأعيان ٣ / ٣٠٣ .
٣ ـ شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف ٥٠٦ .
٤ ـ شذرات الذهب ٣ / ٣٣٠ .
٥ ـ معجم الادباء ١٢ / ٢٥٧ ، طبقات الشافعية الكبرى ٥ / ٢٤٠ ، النجوم الزاهرة : ٥ / ١٠٤ .
٦ ـ معجم الادباء ١٢ / ٢٥٧ ، بغية الوعاة : ٢ / ١٤٥ .
٧ ـ معجم الأدباء ١٢ / ٢٦٢ ـ ٢٦٣ .
٨ ـ انباه الرواة : ٢ / ٢٢٣ .
٩ ـ البداية والنهاية ١٢ / ١١٤ .
١٠ ـ وفيات الأعيان ٣ / ٣٠٣ ، مرآة الجنان ٣ / ٩٦ .
١١ ـ الفلاكة والمفلكون ١٥٢ .
١٢ ـ معجم الادباء ١٢ / ٢٥٧ ، بغية الوعاة : ٢ / ١٤٥ .
١٣ ـ وفيات الأعيان ٣ / ٣٠٣ ، البداية والنهاية ١٢ / ١١٤ .
١٤ ـ انباه الرواة : ٢ / ٢٢٣ .
١٥ ـ معجم الادباء ١٢ / ٢٦٠ ، بغية الوعاة : ٢ / ١٤٥ .
١٦ ـ شذرات الذهب ٣ / ٣٣٠ .
١٧ ـ معجم الادباء ١٢ / ٢٦٠ .
١٨ ـ طبقات الشافعية الكبرى ٥ / ٢٤١ .
١٩ ـ طبقات المفسرين ٧٩ .
٢٠ ـ شذرات الذهب ٣ / ٣٣٠ .
٢١ ـ وفيات الأعيان ٣ / ٣٠٤ .
٢٢ ـ طبقات الشافعية ٥ / ٢٤٠ .
٢٣ ـ طبقات المفسرين ٧٨ ، بغية الوعاة : ٢ / ١٤٥ .
٢٤ ـ طبقات المفسرين ١ / ٣٨٨ .
٢٥ ـ نفسه ٥ / ٢٤١ .
٢٦ ـ طبقات المفسرين ١ / ٣٨٨ .
٢٧ ـ معجم الأدباء ١٢ / ٢٦٧ .
٢٨ ـ مرآة الجنان ٣ / ٩٦ .
٢٩ ـ البداية والنهاية ١٢ / ١١٤ .

٣٠ ـ شذرات الذهب ٣ / ٣٣٠ .
٣١ ـ معجم الأدباء ١٢ / ٢٦٣ .
٣٢ ـ طبقات المفسرين ٧٨ والبغية ٢ / ١٤٥ .
٣٣ ـ شذرات الذهب ٣ / ٣٣٠ .
٣٤ ـ معجم الأدباء ١٢ / ٢٦٣ .
٣٥ ـ نفسه ١٢ / ٢٦٦ .
٣٦ ـ طبقات المفسرين ٧٩ .
٣٧ ـ شذرات الذهب ٣ / ٣٣٠ .
٣٨ ـ طبقات الشافعية ٥ / ٢٤١ .
٣٩ ـ نفسه ١٢ / ٢٦٥ .
٤٠ ـ طبقات المفسرين ٧٨ والبغية ٢ / ١٤٥ .
٤١ ـ شذرات الذهب ٣ / ٣٣٠ .
٤٢ ـ طبقات الشافعية ٥ / ٢٤٠ .
٤٣ ـ طبقات المفسرين ١ / ٣٨٨ .
٤٤ ـ طبقات الشافعية ٥ / ٢٤١ .
٤٥ ـ نفسه ١٢ / ٢٥٩ .
٤٦ ـ نفسه ٥ / ٢٤٠ .
٤٧ ـ طبقات المفسرين ١ / ٣٨٨ .
٤٨ ـ معجم الادباء ١٢ / ٢٥٩ .
٤٩ ـ نفسه ١٢ / ٢٦٦ .
٥٠ ـ طبقات الشافعية ٥ / ٢٤١ .
٥١ ـ طبقات المفسرين ١ / ٣٨٨ .
٥٢ ـ معجم الادباء ١٢ / ٢٦٦ .
٥٣ ـ نفسه ١٢ / ٢٦٥ .
٥٤ ـ الوسيط في الامثال ٣٥ ، ١٠٠ .
٥٥ ـ طبقات المفسرين ٧٩ .
٥٦ ـ نفسه ٧٩ .
٥٧ ـ وفيات الاعيان ٣ / ٣٠٣ .
٥٨ ـ البداية والنهاية ١٢ / ١١٤ .
٥٩ ـ النجوم الزاهرة : ٥ / ١٠٤ .
٦٠ ـ طبقات المفسرين ١ / ٣٨٨ .
٦١ ـ نفسه ١ / ٣٨٨ .
٦٢ ـ مرآة الجنان ٣ / ٩٦ .
٦٣ ـ الفلاكة والمفلكون ١٥٢ .
٦٤ ـ معجم الادباء ١٢ / ٢٥٩ .
٦٥ ـ طبقات الشافعية ٥ / ٢٤١ وفيه : الاعراب بدل الإغراب .
٦٦ ـ طبقات المفسرين ٧٩ وفيه : الاعراب بغية الوعاة ٢ / ١٤٥ ، وفيه : الاغراب .
٦٧ ـ طبقات المفسرين ١ / ٣٨٨ .
٦٨ ـ شذرات الذهب ٣ / ٣٣٠ .
٦٩ ـ الوسيط في الأمثال ٤١ ، ٩٨ ، ١٩٩ .
٧٠ ـ ينظر : مقدمة الوسيط في الامثال .
٧١ ـ الكامل في التاريخ ١٠ / ١٠١ .
٧٢ ـ وفيات الأعيان ٣ / ٣٠٣ .
٧٣ ـ طبقات الشافعية ٥ / ٢٤١ .
٧٤ ـ الفلاكة والمفلكون ١٥٢ .
٧٥ ـ طبقات المفسرين ٧٩ والبغية ٢ / ١٤٥ .
٧٦ ـ كشف الظنون ١ / ٢٤٥ .
٧٧ ـ الوسيط في الامثال ٤١ ، ٩٨ ، ١٩٩ .
٧٨ ـ البداية والنهاية ١٢ / ١١٤ .
٧٩ ـ طبقات المفسرين ١ / ٣٨٨ .
٨٠ ـ نفسه ٦٩ ، ١٣٠ .
٨١ ـ معجم الأدباء ١٢ / ٢٥٩ .
٨٢ ـ انباه الرواة : ٢ / ٢٢٣ .
٨٣ ـ مرآة الجنان ٣ / ٩٦ .
٨٤ ـ البداية والنهاية ١٢ / ١١٤ .
٨٥ ـ النجوم الزاهرة : ٥ / ١٠٤ .
٨٦ ـ طبقات المفسرين ١ / ٣٨٨ .
٨٧ ـ شذرات الذهب ٣ / ٣٣٠ .
٨٨ ـ طبقات الشافعية ٥ / ٢٤١ .
٨٩ ـ طبقات المفسرين ٧٩ .
٩٠ ـ كشف الظنون ١ / ٣٥٥ .
٩١ ـ معجم الادباء ١٢ / ٢٥٩ .
٩٢ ـ طبقات المفسرين ١ / ٣٨٩ .
٩٣ ـ الوسيط في الامثال ١١٢ ، وفي ص ٢٠٣ أورده باسم (شرح الدريدية المقصورة) .
٩٤ ـ معجم الادباء ١٢ / ٢٥٩ .
٩٥ ـ طبقات المفسرين ١ / ٣٨٨ .
٩٦ ـ شذرات الذهب ٣ / ٣٣٠ .
٩٧ ـ معجم الادباء ١٢ / ٢٥٩ .
٩٨ ـ طبقات المفسرين ٧٩ .
٩٩ ـ كشف الظنون ٢ / ١٤٦٠ .
١٠٠ ـ طبقات الشافعية ٥ / ٢٤١ .
١٠١ ـ شذرات الذهب ٣ / ٣٣٠ .
١٠٢ ـ طبقات الشافعية ٥ / ٢٤١ .
١٠٣ ـ كشف الظنون ٢ / ١٤١٧ .
١٠٤ ـ نفسه ٢ / ١٢٧٧ .
١٠٥ ـ طبقات الشافعية ٥ / ٢٤١ .

١٠٦ ـ طبقات المفسرين ١ / ٣٨٨ .
١٠٧ ـ شذرات الذهب ٣ / ٣٣٠ .
١٠٨ ـ الوسيط في الأمثال : ٤١ ، ٤٨ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٧٦ .
١٠٩ ـ نفسه : ٤٢ ، ٤٦ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٩ ، ٩٤ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٢١ .
١١٠ ـ معجم الادباء ١٢ / ٢٥٩ .
١١١ ـ طبقات الشافعية ٥ / ٢٤١ .
١١٢ ـ الفلاكة والمفلوكون ١٥٢ .
١١٣ ـ طبقات المفسرين ٧٩ .
١١٤ ـ نفسه ١ / ٣٨٨ .
١١٥ ـ شذرات الذهب ٣ / ٣٣٠ .
١١٦ ـ طبقات الشافعية الكبرى ٥ / ٢٤٢ ، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ١٦٨ ـ ١٦٩ .
١١٧ ـ معجم الادباء ١٢ / ٢٦١ ـ ٢٦٢ .

٢ ـ الأبيات في دمية القصر ٢ / ٢٥٨ . وفي الإنباه ٢ / ٢٢٤ .
٣ ـ البيتان في دمية القصر ٢ / ٢٥٨ . وفي الانباه ٢ / ٢٢٥ .
٤ ـ الابيات في معجم الادباء ١٢ / ٢٥٧ .

---

١ ـ صحيح البخاري ١ / ٤٥ ، سنن أبي داود ٣ / ٣١٧ .
٢ ـ سنن أبي داود ٣ / ٣٢٠ .
٣ ـ الموطأ ٢ / ٨٩٩ .
٤ ـ الأنفال ٢٤ .
٥ ـ صحيح البخاري ٦ / ٣٢٢ .
٦ ـ صحيح مسلم ١ / ٢٩٦ .
٧ ـ سنن أبي داود ١ / ٢١٧ .
٨ ـ صحيح مسلم ٤ / ١٧٢٧ .
٩ ـ صحيح البخاري ٣ / ١٨٨ ، ٧ / ٢٤٠ ـ ٢٤١ ، ٢٤٤ .
١٠ ـ أي ماكنّا نعلم انه يرقي فتعيبه بذلك ، اللسان (أبن) .
١١ ـ صحيح البخاري ٦ / ٣٢٢ ـ ٣٢٣ .
١٢ ـ صحيح مسلم ٤ / ١٧٢٧ ـ ١٧٢٨ .
١٣ ـ الحجر ٨٧ .
١٤ ـ الواقعة ٧٤ .
١٥ ـ ينظر : الانصاف ١ / ٦ .
١٦ ـ مريم ٦٥ .
١٧ ـ ينظر : العين ٤ / ٩٠ ـ ٩١ .
١٨ ـ تنوير المقباس من تفسير ابن عبّاس ١٠٦ .
١٩ ـ الاعراف ١٢٧ .
٢٠ ـ ديوانه ١٦٥ .
٢١ ـ اللسان (أله) .
٢٢ ـ المؤمنون ٩١ .
٢٣ ـ الابدال ٥٧ .
٢٤ ـ اللسان (رحم) وفيه أنّ القول للجوهري .

٢٥ ـ مجاز القرآن ١ / ٢١ .
٢٦ ـ تنوير المقباس من تفسير ابن عبّاس ٢ .
٢٧ ـ الزمر ٣ .
٢٨ ـ اللسان (ربب) مع اختلاف في الرواية .
٢٩ ـ قرأ عاصم والكسائي (مالك) بألف ، وقرأ الباقون (مَلِك) بغير ألف . السبعة في القراءات ١٠٤
٣٠ ـ طه ١٤ والمؤمنون ١١٦ .
٣١ ـ الجمعة ١ .
٣٢ ـ غافر ١٦ .
٣٣ ـ الصافات ٥٣ .
٣٤ ـ المستقصى في أمثال العرب ٢ / ٢٣١ .
٣٥ ـ الفرقان ٢٦ .
٣٦ ـ روي عن ابن كثير أنّه قرأ (بالسين والصاد) .
وروى عن أبي عمرو أنّه قرأ (بالسّين والصّاد والزّاي) وقرأ بين (الصّاد والزّاي) مثل حمزة .
وقرأ الباقون (بالصاد) (السبعة ١٠٥ ـ ١٠٦) .
٣٧ ـ ينظر : اللسان (سقر) .
٣٨ ـ مسند احمد بن حنبل ٢ / ١٨٣ .
٣٩ ـ تنوير المقباس من تفسير ابن عبّاس ٢ ـ ٣ .
٤٠ ـ نفسه ٣ .
٤١ ـ السجدة : ١٠ .
٤٢ ـ المائدة : ٦٠ .
٤٣ ـ المائدة : ٧٧ .
٤٤ ـ ينظر : اللسان (أمن) .
٤٥ ـ صحيح مسلم ١ / ٣٠٧ .